الخطبة الخامسة عشرة
النجاة على الصراط

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران: 3/ 102]، ويقول أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء: 4/ 1]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: 33/ 70-71].

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

السؤال المهم، هل أنا أؤمن بما يقوله رسول الله ﷺ ويُخْبِرُ به، أم أن القضية فيها شك؟ ... هل أنا في شك مما يقوله رسول الله ﷺ؟ ... هذا هو السؤال الذي يجب الإجابة عنه من قِبَلِ كل من يدعي الإسلام والإيمان ... وطبعاً الجواب البدهي هو نعم نؤمن بما يقوله ويُخبر به رسول الله ﷺ ... إذن المطلوب، إذا كنت مؤمناً أن تعمل بما يجب عليك فعله نتيجة قوله ﷺ أو أمره ...

والرسول ﷺ يخبرنا في جملة أحاديث كيف مرورنا على الصراط ... وأنت وأنا أحد هؤلاء فإليك وصفهم ...

يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً، وجنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلم سلم، فمن الناس من يمر مثل

البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الفرس، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومن من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما أناس يؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة فيؤخذون ضبارات ضبارات فيقذفون على نهر من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت في الغثاء؟ فيكون من آخر من أخرج من النار رجل على شفتها فيقول: يا رب! اصرف وجهي عنها، فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، وعلى الصراط ثلاث شجرات، فيقول: يا رب! حولني إلى هذه الشجرة آكل من ثمرها وأكون في ظلها، فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، ثم يرى أخرى هي أحسن منها، فيقول: يا رب! حولني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها، فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، ثم يرى أخرى فيقول: يا رب! حولني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها، ثم يرى سواد الناس ويسمع كلامهم فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيدخل الجنة فيعطى الدنيا ومثلها (مسند الإمام أحمد، مسند أبي يعلى، ابن حبان، ك عن أبي سعيد).

وحسب هذا الحديث ... يمر الناس

1. مثل البرق.
2. مثل الريح.
3. مثل الفَرس.
4. ومنهم من يسعى سعياً.
5. ومنهم من يمشي مشياً.
6. ومنهم من يحبو حبواً.
7. ومنهم من يزحف زحفاً.
8. ومنهم ما تأخذه كلاليب النار.
9. ومنهم من يسقط في جهنم ...
10. ومنهم من تحرقه النار على قدر ذنوبهم ...

إن على جهنم جسراً أدق من الشعر وأَحَدُّ من السيف، أعلاه نحو الجنة دحض مزلة، بجنبيه كلاليب وحسك النار، يحشر الله به من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير، والملائكة بجانبيه قيام ينادون: اللهم: سلم سلم، فمن جاء بالحق جاز،

ويعطون النور يومئذ على قدر إيمانهم وأعمالهم، فمنهم من يمضي عليه كلمح البرق، ومنهم من يمضي عليه كمر الريح، ومنهم من يعطى نوراً إلى موضع قدميه، ومنهم من يحبو حبواً، وتأخذ النار منه بذنوب أصابها وهي تحرق من يشاء الله منهم على قدر ذنوبهم حتى ينجو، وينجو أول زمرة سبعون ألفـًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر، والذين يلونهم كأضواء نجم في السماء حتى يبلغوا إلى الجنة برحمة الله تعالى (البيهقي في سننه عن أنس).

يا عائشة أما عند ثلاثة فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يثقل أو يخف، وعند تطاير الكتب، فأما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بمن دعا مع الله إلهـًا آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات، ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك، يأخذان من شاء الله، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب! سلم، سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه (مسند الإمام أحمد عن عائشة).

والسؤال الحري بالذكر الذي أطرحه الآن ... إذا كان هذا قوله ووصفه ﷺ لمن يمر على الصراط ... وهذه أحوال الناس كلهم لافرق ... فأي واحد من هؤلاء العشرة أصناف سوف أكون أنا؟... سل نفسك وفكر ... وانظر في حياتك ومعيشتك وطريقة تعاملك مع الله وشرعه ... ومع الناس، وهل أنت ممن يمر كالبرق أو الريح أو الفَرَس أو أنك تسعى أو تمشي أو تزحف، أو أن كلاليب النار تأخذك فتعيقك عن التقدم وتحرقك النار بقدر ذنوبك، أو أنك فقط مخدوش، أو أنك والعياذ بالله تسقط فيها ... أي الناس أنت؟ وأين تريد أن تكون؟ وأي فرقة تريد الانتساب إليها ... فكر يا عبد الله !!

لا أعتقد أن هناك من يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ هذه ويريد أن يكون من المخدوشين أو العالقين في كلاليب النار أو الساقطين فيها ... أعتقد أن كل الناس

مثلي يريدون أن يمروا كالبرق ... ونسأل الله السلامة فإذا أنت مثلي فالسؤال الآن ماذا يجب علينا فعله؟ الجواب بإذن الله وفضله يقوم بتحقيق أمور الآن في حياتنا وقبل مماتنا ... و هذه الأمور ...

أولاها – التوبة ... فعن الأغر المزني ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فوالله إني أتوب إلى الله في اليوم مئة مرة» مسند الإمام أحمد – مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» مسند الإمام أحمد– مسلم، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه: 20/ 82].

وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»مسند الإمام أحمد.

لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده، عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده. (مسند الإمام أحمد – متفق عليه – الترمذي عن ابن مسعود).

ثانيهما – الاستغفار ... ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾[نوح: 71/ 10]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: 4/ 110].

إن عبداً أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، قال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء. (مسند الإمام أحمد – متفق عليه عن أبي هريرة).

- إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين: 83/ 14] (حم ت ن ه حب ك هب عن أبي هريرة).

- عن أبي بكر ﷺ، عن النبي ﷺ قوله «ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر الله له» (حم - عب - حب).

- عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من لَزِم الاستغفار جعل اللهُ له من كلّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلّ همّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (أبو داود - ابن ماجه).

- عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار» مسلم.

ثالثهما - الحسنات والأعمال الصالحة ...قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود: 11/ 114].

- إن مثل الذي يعمل السيئات، ثم يعمل الحسنات، ثم يعمل السيئات، كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت الأخرى، حتى يخرج إلى الأرض (طب عن عقبة بن عامر).

- إن من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة (ك عن جابر).

- عن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قوله: «إذا أسأت فأحسن» (المستدرك للحاكم - هب).

- لقد سألتني عن عظيم! وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك بالله شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ألا أدلكم على أبواب الخير! الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما

يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل، ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه! رأس الأمر الإسلام، من أسلم سلم، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ألا أخبرك بملاك ذلك كله! كف عليك هذا - وأشار إلى لسانه، قال: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم. قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم (حم، ت، ه، ك، هب - عن معاذ، زاد طب، هب: إنك لن تزال سالمًا ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك).

- اتق الله، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت واعتمر، وبر والديك، وصل رحمك، وأقر الضيف، ومُر بالمعروف وانه عن المنكر، وزل مع الحق حيثما زال (طب - عن مخول السلمي، ك عن ابن عباس - التاريخ للبخاري).

رابعها - إرجاع الحقوق إلى أصحابها ...

- من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لادينار ولادرهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه، فجُعِلَت عليه. (حم، البخاري عن أبي هريرة).

- الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغْفَر، وظلم لا يُغْفَر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يَغفره الله، وأما الظلم الذي يَغفره الله فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الذي لا يترك فظلم العباد فيما بينهم يقص الله بعضهم من بعض. (ط عن أنس).

- أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. (حم م د ت عن أبي هريرة).

- اتقوا المظالم ما استطعتم، فإن الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى أنها ستنجيه، فما يزال عند ذلك يقول: إن لفلان قِبَلك مظلمة، فيقال: أمحوا من حسناته، فما تبقى له حسنة، ومثل ذلك كمثل سَفْرٍ نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب، فتفرق القوم فاحتطبوا للنار وأنضجوا ما أرادوا، فكذا كل الذنوب. (الخرائطي في مساوي الأخلاق عن ابن مسعود).

خامسها - الصبر على المصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ...

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[الرعد: 13/ 22]، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾[العنكبوت: 29/ 59] -[النحل: 16/ 42]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾[الفرقان: 25/ 75]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يوسف: 12/ 90]، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة: 2/ 156 - 157]، فالمصائب مكفرة للذنوب ...

- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه» مسند الإمام أحمد - البخاري، وعنه أيضاً: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» الترمذي.

- وعن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (مسند الإمام أحمد - البخاري - ابن ماجه - الترمذي).

- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبَلِّغه إياها» ابن حبان - المستدرك للحاكم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[الشورى: 42/ 43]، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[لقمان: 31/ 17]، ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾[آل عمران: 3/ 186].

- مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد. (حم ت عن أبي هريرة).

- إن الله إذا أراد بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد به الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة. (ت ك عن أنس) (طب ك هب عبد الله بن مغفل) (طب عن عمار بن ياسر) (عد عن أبي هريرة).

- ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها، إلا حط الله تعالى به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها. (خ - م عن ابن مسعود).

- ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة ومحيت بها عنه خطيئة. (م عن عائشة).

- إن الصالحين ليشدد عليهم، فإنه لا يصيب مؤمنًا نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة ورفعت له بها درجة. (حم ك هب عن عائشة).

- قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها. (حم م ن عن أبي هريرة).

- ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة. (م عن عائشة).

- ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه. (حم ق عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا).

هذه الحالات الخمس التي ذكرتها هي المكفرة للذنوب، وهي المحطات التي يجب على المسلم مراعاتها إذا أراد السرعة على الصراط ... وقد أجمع العلماء على هذه الخصال الخمس ولا يوجد شيء من أمور الدين ومن الأمور المنجية أو الأمور المكفرة إلا ويندرج تحت هذه الخصال الخمس ... فيا من يريد النجاة عليك بالتوبة والاستغفار والإكثار من الحسنات وعمل الصالحات، وعليك إرجاع الحقوق إلى أصحابها ... وعليك بالصبر على المصائب فهي مكفرة إذا اتقيت وصبرت واسترجعت بقولك (إنا لله وإنا إليه راجعون) ... والصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي ... فهذه الأمور الخمسة تنقي الذنوب وتمحوها بإذن الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللهم تقبل منا وتب علينا وارحمنا وصل اللهم وسلم

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

اللهم آمين ... اللهم آمين ... اللهم آمين